

مغارة عاصي الحدث - وادي قاديشا

فادي بارودي

تُعتبر مغارة عاصي الحدث من أهم آثار وادي قاديشا؛ تعالج هذه المقالة، باقتضاب، الحملة المملوكية التي استهدفتها سنة ١٢٨٣م وما خلفته من بقايا.

عثر البطريرك الدويهي على كتابة دونها شاهد عيان عن أحداث جرت في جبة بشري في القرن ١٣م: «... وقد وقفنا على كتابين للصلاة احدهما كتب في هذه سنة الف وخمسمائة واربع وتسعين يونانياً (١٢٨٣م) في قطين الرواديف الذي بارض الحدث في القرب من دير ماري يوحنا المعروف بدير مار ابون وكان ساكن فيه الاسقف ابراهيم الحدثي والثاني كتب بعد الاول... فيخبران ان في شهر ايار سارت العساكر الاسلامية الى فتح جبة بشري فصعد شرقي طرابلوس العسكر في وادي حيرونا وحاصر اهدن حصاراً شديداً وفي نهار الاربعين ملكها بشهر حزيران فنهبوا وقتلوا وسبوا ودكوا للارض القلعة التي بوسط القرية والحصن الذي على راس الجبل؛ ثم انتقلوا الى بقوفا وفتحوها في شهر تموز وقبضوا على اكبرها احرقوهم بالبيوت ونهبوا وسبوا ودكوا الى الارض؛ وبعدما ضربوا بالسيف اهالي حصرن وكفرسارون في الكنيسة توجهوا في الاثنين وعشرين من شهر آب الى الحدث؛ فهربوا اهلها الى العاصي وهي مغارة منيعة فيها صهريج للماء فقتلوا الذين لحقوهم وخربوا الحدث وبنوا برجاً قبال المغارة وابقوا فيه عسكر يكمن عليهم ثم هدموا جميع الاماكن العاصية؛ واذ لم يقدروا يفتحوا قلعة حوقا التي قبال الحدث اشار عليهم ابن الصبحا من كفرسغاب بجر النبع الذي فوق بشري وتركيبه عليها فملكوها بقوة الماء لانها داخل الشير واذنوا لابن الصبحة بلبس عمامة بيضه يانس وان تقيم العبيد بخدمته؛ ولما رجع العسكر وتاب عن سوء فعله عمر دير سيدة حوقا لسكنة الرهبان وهو بالقرب من برج الذي كان في الشير...»^١.

١ - دويهي توتل، ص ١٤٥-١٤٦.

اسباب الحملة على جبّة بشرّي^٢

جبّة بشرّي في المرحلة الصليبيّة

- جبّة بشرّي ضمن كونتيّة طرابلس الصليبيّة
- كونتيّة طرابلس الصليبيّة تمتد حوالي ١٣٠ كلم، شمالاً حتى حدود امارّة انطاكيّة الصليبيّة، وجنوباً حتى نهر المعاملتين (قرب مدينة جونيه).
- من الاقطاعات الأساسيّة (Fief) - ضمن كونتيّة طرابلس - في جبل لبنان وساحله... أنفه وبلادها وجبيل وبلادها ومدينة البترون واعمالها وصنم (سمار) جبيل وبلادها...
- في الجّهة الغربيّة من الكونتيّة ضمن جبل لبنان اقطاعان (بارونيّة Baronne) ^٣، هما: بشرّي والمنيطرة (Le Moinestre).
- في الوثائق والمحفوظات الصليبيّة بشرّي تسمّى **Buissera, Bussara**. أقدم وثيقة صليبيّة تذكر بشرّي تعود الى العام ١١٤٥ م^٤.
- الحدث (بلدة حدث الجبّة) اقطاع ضمن «بارونيّة» بشرّي.

الوضع الاجتماعي (في القرى المسيحيّة)^٥ في جبل لبنان في تلك المرحلة

- طبقتان من الفلاحين (عن وثائق صليبيّة)^٦.

-
- ٢ - راجع مقالة (Baroudi, la grotte de Asi-I-Hadat) Momies du Liban؛ عن هذه المرحلة راجع أيضاً المقالات العائدة للاكتشافات التي قامت بها الجمعية اللبنانيّة للأبحاث الجوفية، في L. S. I L. S. II.
 - ٣ - لقب بارون كان محصوراً بمجموعة صغيرة من كبار الأسياد؛ (١) ٣٤٩ p. Richard chartes. بشرّي كانت في العرف الصليبي Fief (لن ندخل بالتفاصيل لكن المعنى الأقرب هو اقطاع كبير يقاس من حيث اصل ونشأة هذا الاقطاع ومن نوعية املاكه ومدخوله ومن واجباته تجاه الأعلى سلطة الخ)؛ ينقسم الاقطاع الكبير الى Casal (Casaux) وهو اقطاع صغير يتألف من موقع أو تجمع يحتوي على ابنية وأراضٍ ومن الممكن ان يكون قرية، ويقاس بالفدان (عند الفرنج Charrue والتي كانت تساوي في تلك المرحلة ما قيمته الآن ٣١٢٥٠٠ متراً مربعاً - عن وثائق صليبيّة).
 - ٤ - وثيقة مؤرّخة سنة ١١٤٥م عندما أعطيت قلعة الحصن (Krak des Chevaliers) الى الإسبتاريّة او Hospitaliers (يعرفون حالياً بفرسان مالطة)، وكان حاضراً صاحب اقطاع بشرّي «ب البشراني بارون طرابلس». وثائق اخرى مؤرّخة في ١٢٠٤ و ١٢٠٥م تذكر صاحب الاقطاع Mansellus de Buissera «منسيلوس البشراني».
 - ٥ - والمسيحيون في الجبل هم الموارنة والملكيون واليعاقبة (في كونتيّة طرابلس كان عدد اليعاقبة كبيراً بحسب مؤرّخي الحملات الصليبيّة [نقلاً عن وثائق]، والاساقفة اليعاقبة كانوا الوكلاء المساعدين [والذين يتمتّعون بحق الانتخاب] للبطاركة اللاتين في القدس؛ راجع Rey colonies).
 - ٦ - Momies du Liban, p. ١٠٥.

- الفلاح «الغير حر» (Serf)؛ لا نعرف اذا كان النظام الذي كان سارياً على هذه الفئة من الفلاحين في اوروبا كان يطبق في منطقتنا، لكن هناك اشارة ضمن وثيقة (كُتبت في كونتية طرابلس) تشير الى ان هذه الفئة لم تكن حرة^٧.
- الفلاح «الحر» (Vilain)؛ وبحسب قانون صدر عام ١٢٥١م يدفع هؤلاء الفلاحين إتاوة (ضريبة) متناسبة مع عدد مواشيهم.
- طبقة الحكام في القرى: «الرئيس» (راجع لاحقاً عن الرئيس بولص في مخطوط عثرنا عليه في المغارة)؛ الرئيس أنيطت به سلطة مشابهة لصاحب الاقطاع الفرنسي، لكن يبقى الرئيس خاضعاً له (في العهد المملوكي تحول اللقب الى «المقدم»).
- الكنيسة المحلية: الطاعة التامة للكنيسة اللاتينية ولصاحب الاقطاع^٨.

الوضع بين الصليبيين والسكان المحليين^٩

- نوع من التكافل بين الفرنجة وبين المحليين من جميع الطوائف في كونتية طرابلس، يقابله أيضاً وضع لم يكن دائماً على ما يرام، مثلاً على ذلك:
- قضية «بزاواج» التي انتهت بمأساة لبعض مسيحيي قرى جبل لبنان على يد صليبيي طرابلس (عن وثائق وحوليات صليبية واسلامية)^{١٠}.
- براءة البابا نقولا الثالث يطلب فيها من صاحب كونتية طرابلس بوهيموند السابع وقف اضطره للمسيحيين^{١١}.

الوضع الداخلي بين الصليبيين في كونتية طرابلس

- شهد النصف الثاني من القرن ١٣م انقسامات أدت الى منازعات دامية تطورت الى حرب أهلية حقيقية بين أصحاب الاقطاعات الفرنج، كانت تمزق كونتية طرابلس (عن وثائق صليبية)^{١٢}.

٧ - الاقطاعي Pierre de Brugairolles وهب الإستراتيجية قطعة أرض ووهب معها فلاحيه؛ المرجع السابق.

٨ Momies du Liban, p. ١٠٤.

٩ - هناك مخطوطان يعقوبيان في غاية الأهمية، اذ يشيران الى الحالة التي كانت قائمة بين أعلى سلطة مدنية عند الفرنج، وهم ملوك القدس، وبين الاكليروس المحلي (اليعقوبي)؛ راجع

١٠ - Grousset Croisades, II, PP. ٦٦-٦٩ ; Momies du Liban, pp. ١٠٦-١٠٧.

١١ - Momies du Liban, p. ١٤٣.

١٢ - Grousset Croisades, III, pp. ٥٥٢-٥٥٦, ٦٧٢-٦٩١.

- من المصادفات أن أحد الأسياد من أصحاب الاقطاع الذين ثاروا على أمير طرابلس (بوهيموند الخامس) سنة ١٢٥٨-١٢٥٩م كان يدعى «ريمون من اده» ، وهو صاحب اقطاع قرية اده، لكن الوثائق لا تحدد اية اده منهم (جبيل او البترون): Richard chartes, p. ٣٧٣.

الوضع بين الصليبيين والمماليك في كونتيّة طرابلس

- حملة السلطان الظاهر بيبرس على طرابلس عام ١٢٦٨م والتي خُربّت في أثنائها بلدة الحدث؛ في نص من سيرة بيبرس ذُكر «تجريدة» (أي فرقة من الخيالة) هاجمت فرنج الحدث، وحيث عساكر المماليك «... أخذوا عدّة مغاير بالسيف...»^{١٣}.

- حملة السلطان الظاهر بيبرس عام ١٢٧١م على طرابلس؛ استيلاؤه على حصن الأكراد (الذي كان ضمن كونتيّة طرابلس) وعلى حصن عكار (راجع الرسالة المخطوطة التي عثرنا عليها في مغارة عاصي الحدث والتي تذكر حصن عكار).

- ضعف الصليبيين في كونتيّة طرابلس في هذه المرحلة (نزاعات داخلية، انتصارات بيبرس) أدّى الى ابرام معاهدات خاصة بين الصليبيين والمماليك (عن وثائق صليبيّة ومملوكيّة)، مثلاً على ذلك:

١- معاهدة تضمن سلامة الاقطاعات الصليبيّة التي أصبحت محاطة بمناطق تابعة للمماليك، او الاقطاعات الصليبيّة التي لم تعد تتّصل ببعضها البعض الا عبر مناطق مملوكيّة^{١٤}.

٢- معاهدة تسمح بسلطة قضائيّة مزدوجة (صليبيّة ومملوكيّة) على نفس المنطقة او الاقطاع، بمعنى آخر تقاسم نفوذ (كما سنرى لاحقاً).

- الخطر المغولي حتّى السلطان قلاوون على ابرام هدنة مع الصليبيين.

بعض ما جاء في نص الهدنة بين السلطان قلاوون، وبين بيت الاسبتار وفرسان الهيكل وبوهيموند السابع صاحب كونتيّة طرابلس:

- تبدأ في ٥ تمّوز ١٢٨١م (مع صاحب كونتيّة طرابلس) وتمتد «... لمُدّة عشر سنين كوامل متتابعات وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر ساعات...»^{١٥} (لم تدم بسبب سقوط طرابلس بأيدي قلاوون في نيسان سنة ١٢٨٩م).

- يذكر نص الهدنة جميع المناطق (مراكز اقطاع ومعاملات ومدن وقلاع الخ...) التي سبق واستولى عليها المماليك، وتلك (المناطق) التي ما زالت تتبع «... طرابلس وما هو داخل بها ومحسوب منها...».

- من الاقطاعات ضمن كونتيّة طرابلس في جبل لبنان وساحله (والتي ذُكرت في الهدنة): «... أنفه وبلادها وجبيل وبلادها ومدينة البترون واعمالها وصنم (سمار) جبيل وبلادها...».

- لا يوجد ذكر (في نص الهدنة) لإقطاع بشريّ ضمن اللائحة الكاملة للمناطق الخاضعة للصليبيين بالرغم من ان بشريّ كانت اقطاعاً أساسياً (Fief) عند الفرنجة.

١٣ - الروض الزاهر، ص ٣٠٤-٣٠٥.

١٤ - Richard seigneurie, pp. ٧٢-٨٢.

١٥ - تدمري طرابلس، ص ٦٢٩-٦٣٢، نقلاً عن كتاب السلوك وتشریف الأيام وتاريخ ابن الفرات.

- هل هذه المنطقة خضعت للمماليك بعد انتصارات السلطان بيبرس؟ اذا كان الأمر هكذا فكان لازم ان تذكر جبّة بشرّي^{١٦} كما الحال لبقية المناطق التي أصبحت مملوكية والتي ذُكرت بأكملها في نص الهدنة.

- هناك منطقة أُشير اليها هكذا: «... وعرقا وبلادها المعينة في الهدنة وعدتها إحدى وخمسون ناحية (تتبع كونتية طرابلس)، وما هو للخيانة والكنائس^{١٧} وعدتها أحد وعشرون بلداً، وما هو للفارس روجار دلالولاي من قبليّ طرابلس يكون مناصفة (مناصفة بين الصليبيين والمماليك)».

- روجار دلالولاي او صاحب اقطاع دُكر في وثائق صليبية، منها ما يتعلّق باقطاعات بقرقاشا (جبّة بشرّي)، بتوراتيج، عابا وكفرقاهل (الكورة)؛ قُتل بأمر من بوهيموند السابع عام ١٢٧٦م^{١٨}. الظاهر من النص ان المنطقة القبليّة ربما انتقلت الى وارثيه، لكنّها ظلّت تُعرف باسمه.

- القبلة في منطقتنا تعني تحديدا اتجاه جنوبي شرقي؛ والمنطقة القبليّة في نص المعاهدة هي تلك الممتدة الى الجنوب الشرقي من طرابلس والتي تطابق محورا يمتد من هذه المدينة وباتجاه جبّة بشرّي (راجع خريطة لبنان).

- اذن هذه المنطقة تكون مناصفة بين القوتين (ايضا، في نص المعاهدة، وضعت مدينة اللاذقية مناصفة بين قلاوون وبين بوهيموند).

- ما يؤكد ان المنطقة القبليّة هي تلك الواقعة ضمن جبّة بشرّي، وجود وثيقة صليبية تذكر في هذه المرحلة اقطاع بقرقاشا وايراداته^{١٩} (بقرقاشا قرية بين بشرّي وحسرون)، والكتابة التي دونها شاهد عيان عن حملة المماليك على جبّة بشرّي (عثر عليها البطريرك الدويهي، راجع عنها في بداية المقالة) والتي تذكر انطلاق العساكر التابعة للمماليك من منطقة حيرونا (تبعد حيرونا حوالي ٤ كلم فقط عن بلدة اهدن، وأقل من ١ كلم عن قرية أيطو)^{٢٠}؛ بمعنى آخر تواجد القوتين الرئيسيّتين في نفس المنطقة.

١٦ - في العهد المملوكي كانت التسمية: عمل بشرية او جومة بشرّي او جبّة بشرّي.

١٧ - الخيالة: فرسان الهيكل (Templiers) والاسبتارية (Hospitaliers)؛ الكنائس: الأملاك (وقف) العائدة للكنائس والأديار التابعة للرهبان الفرنج، منهم (رؤساء) كهنة القبر المقدس في القدس والذين كانوا يملكون عددا من الاوقاف (أصلا كانت اقطاعات وهبها أصحابها)، من بينها قرى حردين، بنهران، بلا وعبدین.

١٨ - Richard chartes, pp. ٣٣٩-٣٨٢.

١٩ - المرجع السابق، ٣٧٧-٣٧٦، pp. ٣٦٠.

٢٠ - يظهر من كتابة الشاهد العيان ومن خلال اشارة واضحة في النص، ان المنطقة أصبحت كلها خاضعة للمماليك بعد تلك الحملة، إذ سمح ايضا لأبن الصبحة « بلبس عمامة بيضة (بيضاء) »، لأنه في المناطق الخاضعة للمماليك كان اللون الابيض للعمائم محرما على المسيحيين الذين فرض عليهم اللون الازرق حصرا.

هناك لغط دار حول الحملة المملوكية على جبّة بشرّي عام ١٢٨٣م:
- الحملة لم تكن من قبل الجيش المملوكي النظامي، بل من قبل العشائر التركمانية (راجع لاحقاً نص القاضي ابن عبد الظاهر) التي كانت تأتمر بقيادة مملوكية (راجع الرسالة المكتشفة في المغارة).

- الحملة لم تكن على كل الجبّة (راجع نص الدويهي في بداية المقالة)، بل على خمس قرى من مجموع بلدات الجبّة (اهدن، بقوفا، حصرون، كفرصارون [قرب الديمان]، الحدث) التي تقع على الدرب الممتد من اهدن حتى الحدث (وهو الطريق الحالي)؛ والملفت أن البلدة الأساسية أي بشرّي مع بقية قرى المنطقة مثل كفرصغاب، بان، حدشيت (مسقط رأس البطريك دانيال الحدشيتي)، بقرقاشا وبريسات، لم تُمس (وكلها بلدات كانت موجودة في تلك المرحلة وقد ذُكرت في وثائق متفرقة).

السبب المباشر لحملة المماليك على جبّة بشرّي عام ١٢٨٣م

- الهدف الاساسي كان لازاحة بطرك الحدث.
- أتى على ذكر اسباب هذه الحملة وتبريراتها وتطوراتها ونهايتها، شخصية مرموقة لها مكانتها في البلاط المملوكي، وهو القاضي محي الدين ابو الفضل بن عبد الظاهر (٦٢٠هـ / ١٢٢٣م - ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) وهو كاتب السرّ وفي تعبير آخر صاحب ديوان الانشاء في البلاط المملوكي، وهو مؤلف سيرة معلّميه السلاطين العظام: الظاهر بيبرس، المنصور قلاوون والأشرف خليل.

- «... يبدو أن محيي الدين كان يدون معلوماته عن الحوادث مباشرة بعد وقوعها، أو حينما يتمكن من الحصول على ما سعى الى معرفته منها... كان أحد القلائل الذين تركت وثائق الدولة في عهدهم...»؛ والمؤلف كان يرافق السلاطين في حملاتهم وهو يذكر في تعليقه في إحدى السير: «وكان المملوك الأصغر مشاهداً سفيراً وحضراً ومعاينة لا خبراً... - ... يعتبر تاريخه على جانب كبير من الأهمية... دون النصوص الأصلية للمراسلات والمعاهدات...»^{٢١}.
- جاء خبر القبض على «بطرك الحدث» في سيرة السلطان قلاوون ضمن أحداث سنة ٦٨٢هـ (تبدأ في أول نيسان ١٢٨٣ وتنتهي في ١٩ آذار ١٢٨٤م):

٢١ - راجع مقدّمة الروض الزاهر وتشريف الأيام.

ذكر امساك بطرك الحدث من بلاد طرابلس

- اتفق ان في بلاد طرابلس بطركاً عتا وتجبّر واستطال وتكبّر وأخاف صاحب طرابلس وجميع الفرنجية، واستغوى أهل تلك الجبال وأهل تلك الأهوية من ذوي الضلال. واستمر أمره حتى خافه كل مجاور. وتحصن في الحدث وشمخ بأنفه، وما قدر أحد على التحيل عليه من بين يديه ولا من خلفه ولولا خوفه من سطوة مولانا السلطان لخرّب تلك البلاد، وفعل ذلك او كاد. فاتفق ان النواب ترصدوه مراراً فما وجدوه. فقصدته التركمان في مكانه وتحيلوا عليه حتى أمسكوه وأحضره أسيراً حسيراً. وكان من دعاة الكفر وطواغيهم واستراح المسلمون منه وأمنوا شره وكان امساكه فتوحاً عظيماً أعظم من افتتاح حصن أو قلعة وكفى الله مكره.
- يحمل هذا النص عنواناً منفرداً وهو مدوّن في مقطع خاص ضمن سيرة أحد أعظم السلاطين المماليك، وهذه من الدلالات التي تشير الى مقام الحادثة بالرغم من أن الموضوع ليس ذا أهمية كبيرة نوعاً ما بالمقارنة مع مواد السيرة: قرية صغيرة في جبل لبنان يختبئ فيها «بطرك» ويُقبض عليه من قبل العشائر التركمانية اّبان مرحلة فاصلة في تاريخ هذه المنطقة (بدء السيطرة المملوكية وانكفاء الصليبيين).

شرح بعض الاسماء والمعاني الواردة في نص ابن عبد الظاهر.

- بلاد طرابلس: أغلب الظن انها تشير الى اقطاعات جبيل والبترون، والسبب يعود الى أن مركز البطريركية المارونية كان في هذه المرحلة ينتقل بين هذه الاقطاعات (يانوح - جبيل، ميفوق - البترون)، ولأنه يفهم من النص ان كل هذه الأعمال، قام بها البطريرك قبل تحصنه في الحدث... عتا وتجبّر واستطال وتكبّر وأخاف صاحب طرابلس وجميع الفرنجية، واستغوى أهل تلك الجبال وأهل تلك الأهوية من ذوي الضلال. واستمر أمره حتى خافه كل مجاور وتحصن في الحدث...

- صاحب طرابلس: هو يوهيموند السابع.

- ذوي الضلال: هناك تفسيرات عديدة لهذا المعنى، فلترجع في محله^{٢٢}.

- النواب ترصدوه: منطقة الحدث كانت قريبة من حدود نيابتين، نيابة السلطنة في دمشق (ونائبها في هذه الفترة الأمير حسام الدين لاجين المنصوري ولقبه ملك الأمراء)، ونيابة السلطنة في حصن الأكراد (ونائبها هو الأمير سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري، والذي بعد انتقال مركز النيابة من حصن الأكراد الى طرابلس نتيجة سقوطها بأيدي المماليك، أصبح هذا الأخير اول نائب لهذه المدينة). عثرنا في مغارة عاصي الحدث على رسالة مخطوطة تذكر «... ملك الامراء و نايب السلطنة المعظمة...» (راجع عنها لاحقاً).

- بما أن المنطقة هذه كانت مناصفة بين نفوذ المماليك والصليبيين لذلك يستطيع النواب رصد البطريك.

هوية «بطرك الحدث»

- بطريك الحدث هو لوقا البنهراني^{٢٣}.
- أشار إليه (الى لوقا البنهراني) البطريك الدويهي في احدى المرّات بقوله: «... لا عجب ان في الملة المارونية يكون برز منها بعض خوارج حركوا الاضطهاد على اولادها»^{٢٤}.

تحوير في هوية «بطرك الحدث»

- حصل لغط بخصوص هوية بطريك الحدث، سببه التحوير (غير المقصود) الذي قام به أحد «المؤرخين» مستنداً على مخطوط فريد، والذي فُقد منذ سنوات.
- هذا المخطوط الفريد هو كتاب منتخب الزمان ومؤلفه أحمد بن علي بن المغربي بن الحريري، وهو واحد من المراجع التي استعان بها البطريك الدويهي لكتابة حولياته.
- فهذا «المؤرخ» اعتبر ان «بطرك الحدث» الذي أسره المماليك هو «دانيال الحدشيتي»^{٢٥}، مشيراً الى ورود هذا النص في مخطوط كتاب منتخب الزمان.
- هذا التحوير تبعه لسنوات عديدة معظم المؤرخين الذين تناولوا هذه المرحلة.

٢٣ - المؤرخ كمال الصليبي في Salibi rule هو أول من ذكر لوقا البنهراني على أنه بطريك الحدث؛ راجع أيضاً Momies du Liban (Baroudi, la grotte de Asi-I-Hadat)، وسعاده بطريك الحدث. في هذه المقالات الثلاث هناك قرائن تبين أن «بطرك الحدث» لا يمكن إلا أن يكون لوقا البنهراني؛ عن لوقا البنهراني راجع أيضاً في عيّاش مجمع.

- عن هذه المرحلة راجع ١٣-٦ L. S. II (١٩٨٩) pp. ٦-١١; L. S. I (١٩٨٨) PP. ٦-١١.

- بنهران حالياً هي قرية شيعية صغيرة في أعالي الكورة؛ اثناء زيارتنا للبلدة أشار الينا الأهالي الى آثار كنيسة في وسط القرية، وبحسب التقليد المتداول ذكروا لنا انها « مركز البطركية حيث كان لوقا البنهراني ».

٢٤ - دويهي شرح، ٢، ص ١٨٠.

٢٥ - Salibi rule ذكر اسم لوقا البنهراني عام ١٩٥٧؛ بعد سنة أي عام ١٩٥٨ ظهر اسم دانيال الحدشيتي في أحد الكتب (حيث التحوير).

- راجع بخصوص هذا التحوير ١٤١-١٣٨ Baroudi, la grotte de Asi-I-Hadat Momies du Liban, pp. ١٣٨-١٤١، وسعاده بطريك الحدث، ص ٧٨.

- لماذا لم تُمسّ بلدة حدشيت من قبل المماليك لو كان بطريك الحدث هو دانيال الحدشيتي؟

- منذ مدة قصيرة، ولحسن الحظ، ظهر المخطوط (كتاب منتخب الزمان) من جديد وطُبِع سنة ١٩٩٥ (القسم الثاني)، مما أكد بشكل جازم أن كتاب منتخب الزمان لم يأت أبداً على أي ذكر لبطيريك أسره المماليك في الحدث أو أي شيء من هذا القبيل.

أسباب التحوير

- ربما هذا التحوير مرده الى ان البطيريك لوقا البنهراني إتهم (منذ اواخر القرن ١٥م) على انه كان هرطوقياً، والملاحظ عند أغلب المؤرخين الذين أتوا على ذكر حملة المماليك على الجبة، نوع من تهمة لوقا البنهراني وحتى الى الغاء وجوده^{٢٦}، كون البطيريك الذي أسره المماليك في الحدث يُعتبر بطلاً وشهيداً ومن غير المقبول ان يكون هرطوقياً.

- إن قضية لوقا البنهراني هي قضية محض سياسية، تتخرط في إطار الصراع على السلطة بين المتنافسين الصليبيين ولا علاقة لها بصحة العقائد الدينية كما سنرى لاحقاً.

هل لوقا البنهراني كان بالفعل بطيريكاً؟

- من المعروف ان البطيريك الدويهي قد نقب وتحرى في الكتب البيعية في انحاء المناطق المارونية في جبل لبنان وخارجه، بحثاً عن تواريخ وأحداث دونها في حولياته، ومنها المعلومات التي تحوي اسماء وتواريخ متعلقة بالبطاركة الموارنة؛ والدويهي عثر، ضمن سنة ١٢٨٣م، على بطيريك أتى بعد دانيال الحدشيتي يدعى لوقا البنهراني ولو أن الدويهي يستعمل تعبيراً لم يألفه من قبل^{٢٧}: «... وتغلب لوقا من بنهران التي في ذيل الجبة على البطركية بعد دانيال»^{٢٨}.

- في لائحة البطاركة الموارنة التي دونها في القرن ١٧م ضمن مؤلفه Syria Sacra، يذكر المؤرخ الاب Terzi di Lavria ان البطيريك دانيال (الحدشيتي) توفي حوالي سنة ١٢٨١م، ثم جلس على الكرسي البطركي لوقا (البنهراني) الذي مال الى «المونوتليتية»، فأقيل عن السدة البطركية خلال مجمع كنسي ترأسه أحد القصاد الرسولين ويدعى Himerico^{٢٩}.

- يبقى ايضا ما جاء في نص ابن عبد الظاهر الذي سماه بطرك؛ فالمؤرخ يستند الى تقارير الدولة العلية التي كانت تصله تباعاً من مراكز العمليات الى ديوان الانشاء في القاهرة.

٢٦ - عن لوقا البنهراني واتهامه بالأبولينارية وبالمونوتليتية وباليعقوبية: ١٣٢، ١٢٤، ١١٧، Momies du Liban، pp. أحد المؤرخين حذف لوقا لأنه اعتبره « أشبه بحلقة من حديد في سلسلة من ذهب»: المرجع السابق، ١٢٥. P.

٢٧ - سعادته بطيريك الحدث، ص ٧٩.

٢٨ - المراجع المختلفة التي ذكر فيها الدويهي البطيريك لوقا: ١٢٣-١٢١، Momies du Liban، pp.

٢٩ - المرجع السابق، ١٣٢. p.

ماذا حدث عام ١٢٨٣م في جبل لبنان؟

- حصل نزاع بين الصليبيين في كونتية طرابلس كان سببه «السياسة الشرق أوسطية» (إذا جاز التعبير) التي انتهجها ، ملك صقلية وشقيق ملك فرنسا لويس التاسع (القديس لويس)^{٣٠}، والتي أغضبت اصحاب الامارات الصليبية وخاصة صاحب كونتية طرابلس بوهيموند السابع.
- هذا النزاع تطور الى حرب أهلية حقيقية في بعض المراحل، بدءا من سنة ١٢٧٦م حتى ١٢٨٣م (عن وثائق وحوليات صليبية)^{٣١}.
- الطرف الأول: صاحب مدينة جبيل Gui II Embriac^{٣٢} (غي الثاني امبرياك وأصله من مدينة جنوى الايطالية) مع فرسان الهيكل Templiers، واسقف طرابلس لللاتين Paul.
- الطرف الثاني: (بوهيموند السابع) صاحب كونتية طرابلس التي كانت حدودها كما اشرفنا تمتد من نهر المعاملتين حتى امانة انطاكية.
- الظاهر ان هذه النزاعات انجر اليها بطريقة او بأخرى البعض من المحليين، خاصة أولئك الذين كانوا يخضعون مباشرة لصاحب الاقطاع (هناك سابقة حصلت في كونتية طرابلس خلال إحدى النزاعات الصليبية وقد انجر اليها محليون - عن وثائق صليبية^{٣٣}).
- والظاهر ان البطريرك لوقا البنهراني تبع صاحب جبيل في نزاعه مع طرابلس.
- والظاهر انه استمال اليه عدد لا يستهان به من أهل الجبل الموارنة... واستغوى^{٣٤} أهل تلك الجبال... لهذا السبب... أخاف صاحب طرابلس وجميع الفرنجية.
- خلال كانون الثاني ١٢٨٣ حاول (Gui) غي الثاني الاستيلاء على طرابلس ففشل وأسر.
- بعد القبض على غي الثاني أسرع بوهيموند الى انتخاب بطريرك جديد للموارنة هو ارميا الدملساوي؛ وقد دون البطريرك ارميا بخط يده كيفية انتخابه، على هامش إحدى صفحات انجيل ربولا:
- «في سنة ١٥٩٠ يونانية (١٢٧٩م) في اليوم التاسع من شهر شباط اتيت انا الحقير ارميا من قرية دملسا المباركة الى دير سيدتنا القديسة مريم بميفوق... الى السيد بطرس بطريوك

٣٠ - وبحسب التقليد فقد أهدى الملك لويس التاسع لدير مار انطونيوس قزحيا عصاة مزخرفة موجودة اليوم في متحف الدير.

٣١ - Grousset Croisades, III, pp. ٦٧٢-٦٩١.

٣٢ - مدينة جبيل كانت من الاقطاعات المهمة في كونتية طرابلس، وامبرياك من أغنى العائلات والتي استدان منها مبالغ من المال أهم رجالات اوروبا الصليبية، من بينهم الامبراطور فريديريك الثاني شخصيا.

٣٣ - Richard chartes, p. ٣٥٤.

٣٤ - استغوى، تعني رغبه للسير في طريق الضلال. في قاموس المنجد، غوى وغوى وأغوى (الرجل): أضله، يقال «استغواه بالاماني الكاذبة».

الموارنة ورسمني بيديه المقدستين مطرانا على دير كفتون المقدس القائم على الضفة النهر وبقيت هناك أربعة سنوات... وبعد انقضاء السنين الاربع طلبني أمير جبيل والاساقفة ورؤساء الكهنة وألقوا القرعة فأصابتي وصيروني بطريركا في دير حالات المقدس ثم أرسلوني الى روما المدينة العظمى وتركت أخانا المطران تادروس يدبر الرعية ويسهر عليها».

شرح بعض الاسماء والمعاني الواردة في نص البطريرك ارميا^{٣٥}.

- بطرس بطريرك الموارنة: من المفترض ان يكون دانيال الحدشيتي، وبطرس هو لقب البطاركة الموارنة.

- دير كفتون المقدس القائم على الضفة النهر: يقع هذا الدير في الكورة على الضفة اليمنى من نهر الجوز، ومنذ ١٢٨٣-١٢٨٤م انتقل دير كفتون الى الملكيين (راجع مخطوط B. M. ١٧٢٣٦).

- وبعد انقضاء السنين الاربع: أي بعد ٩ شباط ١٢٨٣ بالتمام.

- أمير جبيل: وهو صاحب كونتية طرابلس بوهيموند السابع (لقب أمير كان فقط لأصحاب كونتية طرابلس الذين تناوبوا على حكمها - عن وثائق صليبية) الذي استعاد أقطاع جبيل من غي الثاني بعد أن انتصر عليه وأسره (بحسب قانون الاقطاع عند الفرنج، فصاحب جبيل غي الثاني هو Vassal لصاحب طرابلس؛ بمعنى آخر اقطاع جبيل يقع ضمن كونتية طرابلس وصاحب الكونتية عند تأسيسها قد وهب جبيل الى اقطاعي آخر [عائلة امبرياك] بحسب تقسيم الاقطاعات^{٣٦}، ويبقى صاحب الكونتية بوهيموند هو السلطة الأعلى

^{٣٧} حتى داخل اقطاع جبيل؛ اذن وفي العرف الصليبي، بوهيموند هو

«سيد» اقطاع جبيل Seigneur du Fief de Giblet وهو «البرنس» Le Prince^{٣٨}).

- الظاهر من هذه الكتابة ان ارميا ليس خليفة البطريرك دانيال الحدشيتي؛ فلو انتخب بطريركا عقب وفاة سلفه لكان ذكر أن انتخابه جرى في اليوم التاسع من موت دانيال كما هو العرف

٣٥ - لزيادة في التفاصيل المتعلقة بهذه الكتابة، راجع ١٢٦-١٣١. Momies du Liban, pp.

٣٦ - في ٢٦ حزيران ١١٠٩م وبعد ان استولى على مدينة جبيل، منح صاحب كونتية طرابلس «برتران دي سان جيل» اقطاع جبيل الى مدينة «جنوى» بشخص «غليوم امبرياك»، وهو أول من استلم هذا الاقطاع، وهو الجد الأول لأسياد جبيل ومنهم «غي الثاني»؛ راجع Rey seigneurs.

٣٧ - المصطلح المعروف والمتداول لكلمة «السيد» عند الفرنج هو Suzerain، وقد عرف فقط بدءاً من القرن ١٤م؛ بخصوص تقسيم الاقطاعات في هذه المرحلة راجع Lexique M. A.

٣٨ - كما جاء في قصيدة سليمان الأشلوحى (من عكار) التي كتبها في السنة التي سقطت فيها طرابلس (١٢٨٩م) والتي يرثي فيها حال المدينة وأصحابها: « يا حيف على البرنس يا حيف سطوته كأن ما كان لهم ذكر ولا شان ».

المتبع في الكنيسة المارونية^{٣٩}، أو أقله لكان أتى على كلمة تأسف أو عزاء على سلفه خاصة وأنه عينه مطرانا على دير كفتون.

- ما يستشف من هذه الكتابة أن دانيال الحدشيتي كان قد توفي منذ زمن.
- على افتراض ان البطريك الذي أسره المماليك هو دانيال الحدشيتي كما ذكر وحوار البعض (راجع سابقا - وفي نص التحوير جاء ان الحملة على جبة بشري حصلت في بداية سنة ١٢٨٢م)، فمن الغريب ان لا يأتي ارميا على ذكر أي شيء عن هذا البطريك الشهيد ولا عن الحوادث المؤلمة التي جرت في جبة بشري.
- لكن كما هو معروف ومؤكد فالحملة على جبة بشري بدأت في شهر أيار ١٢٨٣م أي بعد انتخاب ارميا الدمصاوي بحوالي ثلاثة أشهر، وحيث اعتقل اثناءها بطريك الحدث، مما يشير الى أنه كان هناك بطريك كان^{٤٠}.

- لهذا فان الكتابة التي دونها شاهد عيان والتي عثر عليها البطريك الدويهي (راجع في بداية المقالة) لا تأتي على ذكر بطريك أسر في الحدث، والسبب أن الناسخ لا يعتبر لوقا البنهراني بطريكاً شرعياً؛ اذن، القرى الخمس التي دمرت في الجبة اثناء الحملة كانت تتبع لوقا البنهراني.

- تاريخ انتخاب ارميا الدمصاوي جرى بين ٩ و ٢٦ شباط ١٢٨٣م اذ هناك وثيقة صليبية في غاية الأهمية تحتوي على اعترافات غي الثاني صاحب جبيل ثم محاكمته (من قبل بوهيموند السابع) في بلدة أنفه (وبحسب الوثائق الصليبية كانت مركز اقطاع كبير Fief)، تاريخها ٢٧ شباط ١٢٨٣م؛ أحد الشهود في هذه المحاكمة بين مجموعة من الفرنج «...ارميا بطريك الموارد...»^{٤١}.

- حكم على غي الثاني بالموت هو وأشقائه وابن عمه ودفنوا أحياء في أحد السرايب في بلدة أنفه^{٤٢}.

- الملفت للنظر والمستغرب وجود البطريك ارميا كشاهد مع الفرنج في قضية نزاع داخلي بينهم، من المفترض ان لا يعنيه (النزاع) اصلاً؛ حضوره (ارميا) اذن هو البرهان على ان الطائفة المارونية قد انجرت أو أقحمت، بطريقة أو بأخرى، في نزاع لا يعنيها لا من قريب ولا من بعيد.

٣٩ - Sfeir ermites, p. ١٢٠ (ref. ٥٥).

٤٠ - حصل وضع مماثل (بطريكين) في الكنيسة المارونية عام ١٧٤٢م عندما انتخب قسم من الاساقفة الياش محاسب والقسم الآخر طوبيا الخازن؛ بعدها ألغت روما الانتخابيين وعينت سمعان عواد بطريكاً: عياش مجمع، ص ٧٠.

٤١ - عن هذه الوثيقة الهامة: ١٢٩-١٢٨. Momies du Liban, pp.

٤٢ - بعد ورود نبأ اعدام غي الثاني، أقيم في عكا مهرجانات فرح بين أهالي مدينة «بيزا» الايطالية، عدوة مدينة «جنوى».

- اغلب الظن ان انتخاب ارميا واقحامه كشاهد في محاكمة غي الثاني هو عمل سياسي قام به صاحب طرابلس بوهيموند السابع لمجابهة الفريق الماروني الآخر، والذي كان قد دخل طرفا في النزاع الفرنجي، والذي كان يمثل قوة لا يستهان بها تهدد مصالح كونتية طرابلس وصاحبها بالطبع.

بالنسبة الى ارسال البطريرك ارميا الى مدينة روما هناك بعض الافتراضات^{٤٣}، لكنه يبقى اطار تاريخي عام نشير اليه دون الدخول في التفاصيل:

- العلاقة بين الكرسي الرسولي وبين كونتية طرابلس لم تكن على ما يرام؛ فالبراءة التي ارسلها البابا نقولا الثالث في سنة ١٢٧٩م والتي يطلب فيها من صاحب كونتية طرابلس وقف اضطهاده للمسيحيين والتي يلومه (يلوم بوهيموند) فيها على تصرفاته هي خير دليل على هذه العلاقة.

- والعلاقة بين الكرسي الرسولي وبين كونتية طرابلس لم تكن على ما يرام ايضا خلال مرحلة النزاع الدموي بين الكونتية وبين اقطاع جبيل، والسبب ان البابا مارتينوس الرابع (Martin IV)^{٤٤} قد جلس على السدة الباباوية بتدخل مباشر من عدو صاحب طرابلس بوهيموند السابع (راجع في بداية المقطع).

- المفترض ان البطريرك ارميا الدمصاوي اذا كان قد قابل البابا فيكون قد تم هذا اللقاء حتما خارج روما^{٤٥}، والسبب ان البابا مارتينوس الرابع لم يستطع أبدا المجيء الى مدينة روما في المدة التي كان فيها على السدة الباباوية لاسباب سياسية تتعلق بالأوضاع التي كانت قائمة بين وروما.

نهاية لوقا البنهراني

- بعد إزاحة غي الثاني يظهر انه جاء دور أتباعه، ومنهم لوقا البنهراني (الذي اجتمع حوله عدد كبير من أهل الجبال بحسب نص ابن عبد الظاهر)؛ فالبطريرك لوقا بعد فشل غي الثاني وبعد انتخاب ارميا الدمصاوي لم يعد باستطاعته البقاء في مركز البطريركية المارونية (على افتراض انه كان في ميفوق او في يانوح)، كونه في اقطاع يتبع كونتية طرابلس، وبالتالي لن يستطيع الاحتماء في المناطق الخاضعة لصاحب طرابلس، ولا حتى في قرية بنهران التي كانت ضمن أوقاف تتبع (مع قرى بلا، عبيد وحردين) رؤساء كهنة القبر المقدس في القدس (في الاصل هذه القرى كانت ضمن اقطاعات وهبها أصحاب كونتية طرابلس، الكونت

٤٣ - Momies du Liban, pp. ١٣٠-١٣١.

٤٤ - واسمه Simon de Brion؛ راجع عن هذا البابا في Mathieu-Rosay Papes.

٤٥ - ربما حصل هذا اللقاء في مدينة Viterbe حيث كان مركز هذا الحبر أو حيث توفي.

«برتران» والكونت «ريمون»، الى كهنة القبر المقدس - عن وثائق صليبية^{٤٦})؛ لذلك فضل (لوقا) الاحتماء في منطقة تقع مناصفة بين المماليك والصليبيين. ربما اعتبر انه يكون بمنأى عن بوهيموند ولأنه لا خيار له الا هذه المنطقة، ثم ان موقع بلدة الحدث إستراتيجي كون طريق القوافل الاساسي بين الساحل الطرابلسي والباقاع فدمشق (ما عدى موسم الثلوج) يمر فيها^{٤٧}.

هناك ربما سببان اساسيان لازاحة البطريرك بعد تحصنه في الحدث:

- من الممكن ان البطريرك لوقا بدأ يزعج المماليك وذلك بقطع طريق القوافل ونشر الفوضى وقيامه بتعدييات؛ واذا عدنا الى نص ابن عبد الظاهر فالملفت فيه شخصية البطريرك التي تتم عن رجل متمرد ومقاتل ... عتا وتجبر واستطال وتكبر... واستمر أمره حتى خافه كل مجاور... لخرب تلك البلاد، وفعل ذلك او كاد. هذا الشيء نلاحظه أيضا في نص للبطريرك الدويهي الذي يذكر فيه ان لوقا البنهراني تغلب على البطريركية... والمعنى أنه أخذها عنوة وبالقوة.

- السبب الآخر هو الطلب من صاحب طرابلس الى شركائه في المنطقة أي المماليك، بازاحة البطريرك.

من الملفت ايضا ما جاء في تعليق ابن عبد الظاهر بعد القبض على البطريرك:

- ... وكان من دعاة الكفر وطواغيهم واستراح المسلمون منه وأمنوا شره وكان امساكه فتوحا عظيما أعظم من افتتاح حصن أو قلعة وكفى الله مكره؛ فمؤرخ سيرة السلطان قلاوون لم يذكر هذا جزافا، انما ما يستدل من النص ان قضية بطريرك الحدث كانت أكبر وأخطر بكثير من قطع طريق القوافل او بعض التعدييات او ازعاج الفرنجة شركاء المماليك في هذه المنطقة من جبل لبنان.

٤٦ - قرية بنهران لم تمس لا من قبل المماليك ولا من قبل بوهيموند، والسبب انها كانت تقع ضمن اوقاف كهنة القبر المقدس (في القدس)، وبالتالي وبحسب نص المعاهدة بين قلاوون وكونتية طرابلس فهي لا تدخل ضمن اقطاعات طرابلس المباشرة: « وما هو للخيانة والكنائس وعدتها أحد وعشرون بلدا »؛ بالرغم من هذا لم يلجأ لوقا الى بنهران ربما لأن طبيعة الأرض في هذه القرية لا تسمح بالتحصن وتفتر الى ملجأ طبيعي، أو لأن «أصحاب» الوقف هذا رفضوا استقبال البطريرك لوقا (لا نعرف ما ترتب من اتفقات بين صاحب كونتية طرابلس وبين كهنة القبر المقدس، نتيجة المعاهدة التي أبرمت مع السلطان قلاوون).

٤٧ - عن هذا الطريق، راجع مقالة يعاقبة وأحباش قسم دير مار موسى الحبشي.

- الظاهر انه صار الوضع شبيها بالذي حصل أيام الفاطميين وعلاقة في مدينة صور قبل ٢٨٦ سنة^{٤٨}، أي نوع من الحركة التحررية المحلية.

- لم نعثر على أدلة تشير الى اختباء البطريك لوقا في مغارة عاصي الحدث، لكن من غير المستبعد ان يكون لجأ الى هذا الحصن الطبيعي... وتحصن بالحدث... فقصدته التركمان في مكانه (ابن عبد الظاهر)؛ فكيف يفسر الحصار الشديد الذي ضرب على المغارة؟ وهل وجود أهالي الحدث (نساء وأولاد بمعظمهم، راجع Momies du Liban) يبرر هكذا حصار أم أن سبب هذه العملية العسكرية وجود البطريك داخل المغارة؟ ... وبنوا برجاً قبال المغارة وابقوا فيه عسكر يكمن عليهم (الدويهي).

- هناك اثر عثرنا عليه في المغارة، يدل على أن الحصار طال بعض الشيء؛ فبحسب نص شاهد عيان الذي أتى على ذكره البطريك الدويهي (راجع في بداية المقالة)، فالعساكر وصلت الى الحدث يوم ٢٢ آب (بحسب التقويم الغريغوري ٣٠ آب^{٤٩}) ومن المفترض ان يكون قد بدأ الحصار على مغارة العاصي في هذا التاريخ أيضاً؛ وقد عثرنا على احدى المومياءات التي كانت ترتدي أربعة أثواب فوق بعضها البعض، وكما هو معلوم، فان الثياب الداخلية لم تكن معروفة في العصور الوسطى، ولم يكن يوجد ثياب مخصصة للفصول (ثوب شتوي وآخر صيفي)؛ فالمرء عندما يشعر بالبرد كان يرتدي اكثر من ثوب^{٥٠}. هذه الأثواب الأربعة هي البرهان على ان هذه الطفلة ماتت في طقس بارد جداً، وبحسب تجربتنا (خلال الفصول الأربعة) في مغارة عاصي الحدث، فاننا لم نكن نشعر بالبرد في داخلها (المغارة) الا عندما كان الثلج يغطي المنطقة المحيطة بعاصي الحدث^{٥١}.

٤٨ - « ثار أهالي صور على الفاطميين عام ٩٩٧م، وأقاموا ملاحاً من البلدة اسمه علاقة اميراً عليهم. وأرسل الفاطميون جيوشهم عن طريق البر والبحر لقمع هذه الثورة فدخلها الفاطميون (صور) وألقوا القبض على علاقة وجماعته واقتادوهم الى مصر »؛ صليبي منطلق، ص ٦٥.

- ضربت النقود على اسم علاقة اثناء توليه صور وكتب عليها: «عز بعد فاقه الأمير علاقة»؛ أخبرنا أحد الاصدقاء من العاقورة أنه عثر على قطعة نقود في المنطقة نفسها (العاقورة) تحمل الكتابة نفسها (اشارة علاقة).

٤٩ - ٢٢ آب بحسب التقويم الجولياني بالطبع، أما بحسب تقويمنا الحالي (الغريغوري) فالفرق بالتحديد هو ٧.٦٢ يوماً أي سبعة أيام كاملة وأكثر من نصف يوم بقليل؛ اعتبرناه ٨ أيام.

٥٠ - Momies du Liban, p. ٥٨, pp. ٦٠-٦٣؛ راجع أيضاً Delort Moyen Age, p. ٣٥ بخصوص اللباس في العصور الوسطى.

٥١ - هناك برهان آخر على أن الحصار طال بعض الشيء، وهو العثور على قشر رمان (مع جوز ولوز وثوم، راجع لاحقاً) كانت في حفر المومياءات، ومن المعروف ان الرمان في هذه المنطقة لا ينضج الا في اواخر شهر أيلول؛ يبقى السؤال وهو كيف استطاع المختبئون في المغارة الحصول على الرمان والمكان محاصر؟

- ... وتحيلوا عليه حتى أمسكوه... والظاهر أنه جرى أسره بطريقة الحيلة، ربما بالأمان^{٥٢} كما يذكر نص آخر للدويهي يتعلق بحصار المغارة... ثم في الأمان تسلّموا (استسلم) أهلها (أهل المغارة)^{٥٣}.

مكتشفات مغارة عاصي الحدث

بعد مرور أكثر من ٧٠٠ سنة على حصول هذه الاحداث (المذكورة في كتابة شاهد عيان)، عثر أعضاء من الجمعية اللبنانية للأبحاث الجوفية في مغارة عاصي الحدث على مجموعة أثرية قد تكون الأهم في تاريخ الاكتشافات (الأثرية) التي حصلت حتى الآن في لبنان والتي تعود تحديدا الى العصور الوسطى؛ هذه المجموعة تحتوي على عدد من الأجساد البشرية لبعض من أهالي الحدث الذين اختبأوا في المغارة، وماتوا ودفنوا فيها أثناء الحصار الذي ضربه المماليك عليها^{٥٤}.

سبعة أجساد بشرية مرتدية ثيابها ومكفنة دفنت في أرض المغارة، والبعض منها حفظ في حالة شبه جيدة^{٥٥}، إضافة الى عدد من الأطراف والعظام البشرية والجماجم التي اكتشفت في أجزاء مختلفة من الكهف؛ اما مجموعة الثياب المكتشفة فتعتبر فريدة لكونها انموذج للباس الشعبي لأهل جبل لبنان في القرن ١٣م.

إضافة الى هذا اكتشفنا مجموعة كبيرة من اواني الحياة اليومية العائدة لسكان المغارة وللمماليك ايضا، سيما وان المهاجمين، بعد استيلائهم على عاصي الحدث، حولوها الى مركز عسكري.

بدأت الاكتشافات في مغارة عاصي الحدث سنة ١٩٨٨، أي أثناء الاحداث الأليمة التي كانت تعصف بلبنان^{٥٦}؛ وكان واجب علينا انقاذ آثار المغارة خاصة انه في بداية تلك المرحلة (مرحلة

٥٢ - Momies du Liban, p. ٩٤.

٥٣ - دويهي فهد، ص ٢٦١.

٥٤ - عن هذا الاكتشاف: Momies du Liban.

٥٥ - عدم وجود رطوبة وعدم وجود مواد عضوية في ارضية المغارة كانا من بين الاسباب التي حافظت على بعض الاجساد والثياب والمخطوطات: Momies du Liban (Ghossain).

٥٦ - امام الاوضاع المتردية حينها في لبنان، كان لا بد من المحافظة بوسائلنا على المكتشفات لحين تسليمها الى السلطات المختصة. وضعت تلك المكتشفات بعهدة احد افراد الجمعية، في غرفة ملائمة، وجهزت الغرفة بكل الوسائل المتاحة لجعل جو المكان كما كان عليه في المغارة من رطوبة لا تتجاوز الحد الذي يؤثر على المجموعة الأثرية، خاصة على الاجساد (التي وضعت في توابيت من Plexiglass مع مواد كيميائية لابعاد عنها خطر «الفطر») والثياب والمخطوطات والوانني الخشبية والحديدية والجلدية، والتي نظفت بكل عناية وبحسب الاصول

الاكتشافات في عاصي الحدث)، كانت المغاور التاريخية والأديار الأثرية في وادي قاديشا تتعرض كلها بدون استثناء للتهب والتخريب من قبل جماعات مسلحة، كانت تبحث عن «الكنوز»؛ فدير قنوبين مثلاً، مركز البطريركية المارونية (منذ ١٤٤٤م حتى أوائل القرن ١٨م)، تعرض مرات عدة «لزيارات» هؤلاء القوم الذين عمدوا الى فتح أنفاق في أسفل الدير مشوهين بذلك معالمه، وحفروا أرضية كنيسة الدير الأثرية، ونبشوا المدفن الموجود في الجدار الشمالي للكنيسة.

تحتوي المجموعة التي سلمت الى المتحف الوطني^{٥٧} على ٢٩٣ قطعة أو مجموعة من بينها:

- أجساد بشرية محنطة طبيعياً، البعض منها بحالة جيدة.
- عدد من الأطراف البشرية، البعض منها بحالة جيدة.
- مجموعة من خصل الشعر المجدولة^{٥٨}.
- أساور، خواتم، عقود.
- زناير جلدية^{٥٩}، أحذية، قطع جلدية مختلفة.
- مجموعة كبيرة من الثياب من بينها قطع كاملة (فساتين) ومطرزة (تطريز رائع).
- مجموعة كبيرة من الخرق^{٦٠}.
- جديلة من قماش (قطعة نادرة جداً).
- مشالغ (قطع نادرة).
- مجموعة كبيرة من الكسر الفخارية واحدة عليها كتابة: «برسم بطرس الحديثي»^{٦١}.
- مجموعة من السرج^{٦٢}.
- مجموعة كبيرة من الكسر الزجاجية منها ما هو ملون (واحدة عليها كتابة - راجع عنها لاحقاً).
- ادوات حديدية (مسامير، زردة زنار، مسلة، مهماز - قطعة نادرة جداً).
- ملاعق خشبية (واحدة عليها رسم رائع - قطعة نادرة).

المتبعة، وهذا ما عاينه خبيران من المتحف البريطاني اللذان زارا الغرفة برفقة أعضاء من مديرية الآثار وأتتيا على عمل الجمعية.

- ٥٧ - في تاريخ ٧ كانون الاول ١٩٩٢ وفي المتحف الوطني، أعلن رسمياً عن هذا الاكتشاف خلال مؤتمر صحفي عقده وزير السياحة الأستاذ نقولا فتوش (المديرية العامة للآثار كانت تتبع في حينها وزارة السياحة) وبإشراف المديرية العامة للآثار وباشتراك الجمعية اللبنانية للأبحاث الجوفية صاحبة الاكتشاف. ظلت المكتشفات في عهدة الجمعية لحين تسليمها الى المتحف الوطني في تاريخ ١١/٢٣/١٩٩٤، والأقمشة والثياب في ١٢/١/١٩٩٥.
- ٥٨ - لها علاقة بالسحر.
- ٥٩ - كانت تقيد أيدي المومياءات.
- ٦٠ - واحدة عليها تطريز يمثل طائري الإيبس Ibis رمز الخلود.
- ٦١ - والمعنى: «خاصة بطرس من (قرية) الحدث»؛ الكتابات (من أسماء أو تمنيات أو دلالات) على الأواني الفخارية والزجاجية كانت عادة متبعة في الشرق خاصة في العهد المملوكي، منها مثلاً «مشروب الهنا» أو «مأكول الهنا».
- ٦٢ - اناء يوضع فيه زيت وفتيلة للاضاءة.

- مفتاح من خشب مع خيطه (قطعة نادرة جدا)^{٦٣}.
- أمشاط (عليها حفر).
- مجموعة كبيرة من الخيطان (بعضها ملون) وقطع حبال.
- حجب (حجاب) من قماش في داخلها خيط معقود^{٦٤}.
- بقايا مواد غذائية كانت موجودة في الحفر مع المومياءات (جوز، لوز، نواة زيتون، ثوم، قشر بصل ورمان، سنابل قمح مجدولة).
- ورق غار محافظا على رائحته (كان منثورا فوق الاجساد).
- قطع نقود صليبية ومملوكية (عليها اسم السلطان بيبرس وقلاوون^{٦٥}).
- شفرات سكاكين.
- مدية أو مطواة (سكين تطوى) كاملة مع مقبض من خشب (قطعة نادرة جدا)^{٦٦}.
- رأس بلطة من حديد.
- رأس معول من حديد.
- مجموعة كبيرة من خشب السهام، منها ملون ومرسوم عليه (رأس أفعى)^{٦٧}؛ قطعة سهم عليها بقايا من ريش الذيل (قطعة نادرة).
- مجموعة من رؤوس السهام الحديدية بأشكال مختلفة.
- سهم كامل وبدلا من الريش يحمل الذيل ورقا (قطعة في غاية الأهمية)^{٦٨}.

-
- ٦٣ - المفتاح الخشبي كان موضوعا فوق احدى المومياءات (إمرأة بالغة)، ووضع المفتاح فوق الجثة له دلالة: بحسب العادات المتبعة خاصة في شمال لبنان، فان الشخص المتوفي اذا كان آخر فرد من العائلة، بمعنى آخر انه بوفاته لم يبق أحد من أفراد عائلته على قيد الحياة، فعند خروج جثته من منزله يعمد المعزون الى رمي مفتاح البيت على سطحه (سطح البيت)، وهذا يعني ان الفقيد بموته قد أقفل المنزل نهائيا؛ الظاهر ان امرأة المغارة (المومياء) كانت آخر فرد على قيد الحياة من عائلتها وبموتها أثناء الحصار رمى من كان حولها المفتاح فوقها.
 - ٦٤ - الخيط المعقود او المربوط داخل الحجاب يعني «ربط الشر».
 - ٦٥ - واحدة تحمل من جهة اسم السلطان قلاوون ومن الجهة الثانية اسم الخليفة العباسي في مصر «الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد (٦٦١-٧٠١ هـ)» (قطعة نادرة).
 - ٦٦ - الشفرة تطوى داخل المقبض؛ وجد سكين شبيه بمدية الحدث، في فرنسا، يعود الى المرحلة الغالية (Gaulois): ٦٧٦
 - ٦٧ - كان النبال يتقنن بالرسم او بتلوين خشب السهم بأشكال مختلفة.
 - ٦٨ - هذا السهم الكامل كان موضوعا بجانب نصف هيكل عظمي؛ السهم المكتشف أعطى بعدا جديدا في علم تقنية القوس والنشاب في القرن ١٣م في جبل لبنان، والسبب أن الورق المستعمل في الذيل (مكان الريش) يعطي اداء أفضل من الريش: سرعة ومسافة أكبر وتوازن مميز في مسار النبله. موارنة جبل لبنان كانوا مشهورين في رمي السهام.
 - عن هذا السهم راجع ٢٠٦-٢٠٨. Momies du Liban, pp.

- مجموعة من الأوراق المخطوطة بالعربية وبالسريانية (بعضها مؤرخ)، وسنأتي على ذكر محتويات البعض منها.

شرح لبعض الكتابات المكتشفة في مغارة عاصي الحدث

فادي بارودي
الاب كرم رزق
الاب يوسف طنوس

كتابة على عنق زجاجة (Had. ٢٩-٩١)

الكتابة التالية مدونة على ما تبقى من زجاجة:

«عز لمولانا السلطان الملك العادل»

كلمة العادل هنا، لا تعني نعتا او صفة بل هي لقب لأحد السلاطين، وسنحاول اكتشاف هوية هذا السلطان.

الحملة المملوكية على الجبة (في صيف ١٢٨٣م) حصلت في عهد السلطان «المنصور سيف الدين قلاوون الألفي» (٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠م)، أي في الربع الأخير من القرن ١٣م؛ اذن هذه الزجاجة تعود الى تلك المرحلة.

في لائحة السلاطين المماليك (البحرية، والجركسية - البرجية) ثلاثة منهم حملوا لقب «العادل»: العادل سلامش، حكم ٦ أشهر (٦٧٨هـ / ١٢٧٩م). العادل كتبغا المنصوري (٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦م). العادل طومان باي الأشرفي، حكم ٣ أشهر وكان السلطان ما قبل الأخير من نهاية العهد المملوكي (٩٠٦هـ / ١٥٠١م). اذن الكتابة على عنق الزجاجة اما لسلامش واما لكتبغا.

تحولت مغارة عاصي الحدث الى مركز عسكري بعد الاستيلاء عليها (راجع المخطوطات المكتشفة). ما هو شبه مؤكد ان هذا المركز لم يدم طويلا، لأنه بعد سيطرة المماليك على كل المناطق (الساحلية والجبليّة) نتيجة سقوط طرابلس بأيدي السلطان قلاوون سنة ١٢٨٩م وانكفاء الصليبيين

-
- ١ - راجع بخصوص هذه الكتابة بالفرنسية في ١٩٧-١٩٥. Momies du Liban, pp.
 - ٢ - الالفي (النسبة)، لأن الامير علاء الدين آق سنقر اشترى قلاوون بألف دينار.

ورحيلهم، لم يعد للمغارة قيمة احترازية، خاصة وانها (المغارة) لا تشرف على طريق القوافل (من والى الساحل والداخل) الذي كان يمر في الحدث (مستوى الطريق يعلو ويبعد عن حافة الجرف حيث تقع في وسطه مغارة عاصي الحدث).

اغلب الظن أن المغارة أخلت في أبعد تقدير عند سقوط طرابلس، ويكون لقب السلطان المذكور في الكتابة يعود الى السلطان «سلامش».

هو السلطان «العادل بدر الدين سلامش» ابن السلطان «الظاهر ركن الدين ابو الفتوح بيبرس بن عبدالله البندقداري الصالحي النجمي الأيوبي التركي».

ولي سلامش الملك بعد خلع أخيه السلطان «السعيد ناصر الدين بركة خان» (٦٧٦-٦٧٨هـ — / ١٢٧٧-١٢٧٩م)، وكان عمره سبع سنوات (سلامش)، وكان الحاكم الفعلي الامير قلاوون «أتابك العسكر» (الذي أصبح فيما بعد السلطان)؛ خلع سلامش بعد حوالي ٦ أشهر (٦٧٨هـ).

شرح الاسم

العادل: اللقب.

بدر الدين: اللقب الديني.

سلامش: الاسم.

شرح الاسم الكامل للسلطان بيبرس

الظاهر: اللقب.

ركن الدين: اللقب الديني.

ابو الفتوح: الكنية.

بيبرس (بن عبدالله): الاسم.

البندقداري: النسبة؛ قبل سلطنته كان بيبرس مملوك الامير أيديكين البندقداري (راجع معنى بندقدار

في مقالة مغارة الدلماس).

الصالحي النجمي الأيوبي: النسبة؛ كان بيبرس مملوك الملك نجم الدين أيوب.

التركي: النسبة؛ وبيبرس أصله تركي.

ربما هذه الزجاجاة كانت خاصة احد امراء المماليك (امير طبخانة؟) الذين مكثوا في المغارة بعد

تحويلها الى مركز عسكري مؤقت.

(١) كتابة على ورق (مخطوط ٦١-٩٠. Had.)^٣

- ١- وحضر الى (م)ن الدولة ال(ق او ع)ا
- ٢- تصدقو عليه برمح خبر في حصن
- ٣- عكار وما يكفي حاله الرجا من صدقات
- ٤- ملك الامراء يساعد للمملوك عند نايب
- ٥- السلطنة المعظمة بالنظر في حاله لأن
- ٦- (خمسة) اولاد وتبع نحو خمس عشر نفس (او نفر)
- ٧- لأن أخوا المملوك شملته
- ٨- المملوك

هذه الوثيقة المملوكية التي عثرنا عليها في مغارة عاصي الحدث تحوي على اسم مكان وعلى القاب فخريّة مما يساعد على التعرف الى هوية الأشخاص الذين تخبر عنهم، ألا وهم المسؤولون المماليك في المنطقة.

إن لقب ملك الامراء يمنح لنائب السلطنة في دمشق، والذي يحتل المنصب الأول في المنطقة. والشخص الذي ينال هذه الرتبة يحوز على نفس الألقاب والأمجاد التي ينعم بها النائب - الكفيل في ديوان السلطان.

إن ملك الامراء الذي يشير اليه النص هنا يجوز أن يكون «حسام الدين لاجين المنصوري».

كان نايب (نائب) السلطنة يقيم في حصن الأكراد (Krak des Chevaliers)، ولعله يكون سيف «الدين بلبان الطباخي المنصوري».

بعد سقوط طرابلس، أخذ «نائب السلطنة» في المدينة لقب «ملك الأمراء». ويؤكد ابن عبد الظاهر اقتسام المنطقة فيما بين النواب خصوصا عندما تكلم عن الذين جدوا في التفتيش عن البطريك المتمرد في الحدث.

كان حصن عكار (عكار العتيقة) قد سقط بأيدي المماليك سنة ١٢٧١م. بعثت الرسالة الى الحدث التي تخضع لحصن الأكراد، وهي لم تسلك طريق البريد المملوكي العادي في المنطقة.

ما هو موضوع الوثيقة؟

٣ - عن هذه النصوص الأربعة اللاحقة، بالفرنسية: ١٩٢-١٨٢، ١٥٠-١٤٦. Momies du Liban, pp.

ان رئيس موقع مغارة الحدث يوصي نايب (نائب) السلطنة بأحد جنوده، وذلك بواسطة ملك الامراء، ثم يبرز المملوك الذي يفترض أن يستفيد من هذه الوساطة وكأن له أتباعا؛ فهل هو «أمير طبليخانة» يقود خمسة أو عشرة جنود؟
إن مملوكا آخر كان قد حظي بعناية ملك الامراء. هل هذه السابقة تعود بالخير الى المملوك المدعو هنا؟

(٢) كتابة على ورق (مخطوط ٦٢-٩٠. Had.)

وجه الورقة:

- ١- صح
- ٢- بسم الله العلي
- ٣- الحاج
- ٤- حارم
- ٥- الذي نعلن به الابن
- ٦- يوسف (?) والريس
- ٧- يعلمونا
- ٨-
- ٩-
- ١٠- ويحتك
- ١١- وقد ورد على كتاب المخدوم الى عند
- ١٢- جاء عند

ظهر الورقة:

- ١- اقول وانادي
- ٢- عند الريس بولص مر
- ٣- عشرة مكاي وخمسة
- ٤- قمح مقاسمت عين
- ٥- كتب في سابع ع
- ٦- المعظم سنة اربعة
- ٧- وست مائة
- ٨- تسلم للريس بولص (مقلوبة)

تتسجم هذه الوثيقة مع طرق البروتوكول المتبعة في الديوان المملوكي، مما يؤكد صحتها. وجهت الى الرئيس بولص (بولس)، مما يشير الى أن المماليك استبقوا استخدام «ريس» (قبل مقدم)، وأطلقوه على معاونيهم المحليين، تماما كما فعل الصليبيون قبلهم. فمن هو بولس هذا؟ هل هو المقدم بولس الذي تكلم عنه ابن القلاعي في زجليته؟^٤

دونت الرسالة في سابع ع... المعظم (شهر رمضان)... سنة اربعة... وست مائة هجرية. سقط رقم العشرات؛ فاستنادا الى الإطار الزمني، يمكن توقيتها سنة ست مائة واربعة وثمانين (٦٨٤هـ / ١٢٨٥-١٢٨٦م)، لأنه بعد الاستيلاء على طرابلس في نيسان سنة ستمائة وثمانية وثمانين (٦٨٨هـ / ١٢٨٩م)، فقدت مغارة عاصي الحدث أهميتها الاستراتيجية، ولم تعد تستخدم كموقع عسكري، وبالتالي يستصعب أن تؤمها المراسلات.

أما موضوع الرسالة فهو قسمة كمية من القمح كيلت بالمكوكي.

(٣) كتابة على ورق (مخطوط ٧١-٩٠. Had.)

- ١- كرم وعامر ودار
- ٢- حوشب اخيها لتوما ابن
- ٣- صحته انعموا هولاي
- ٤-
- ٥- هذه المواضع لهذه منهم
- ٦- وذلك سنة الف وخمس مائة وثلاثة وستين سنة من سنون
- ٧- الاسكندر وبذلك صحته امهر الشهود شهد على ذلك
- ٨- شهد شهد مسعود عر(كا) شهد دنيال بن
- ٩- وهيدا بامرته ومحضره وهيدا بامرته ومحضره سعدالله وهيدا بامرته
- ١٠- شهد بولص هيد امر
- ١١- وهيدا بامرته وانا القس لعازر شهدت بما كتب من الجميع (ترجمة)
- ١٢- شهدت انا جدعون شهدت انا جرجس ابن داود
- ١٣- بن حوشب من حصرون الارشدياق من الحدث
- ١٤- وه خطي وهيد
- ١٥- خطي على اقرار
- ١٦- الجميع وهيد خطي

٤ - الجميل زجليات، ص ١٠٠.

هذه الوثيقة هي صك - حجة، مادتها كرم وبيت ودار، تملكها عائلة من الحدث. ولكن الوثيقة مجتزأة الى حد يستحيل معها تحديد طبيعة العقد: أشراء هو؟ أم مبيع؟ أم وصية ميراث؟

نظرا لقيمة العقارات التي احصيت، حمل المالك، أو المنتفع، هذه الحجة معه الى ملجأه في مغارة عاصي الحدث. ان العدد المرتفع للشهود للموقعين، أقله ثمانية أشخاص، وصيغ الشهادات، وتصديق كاهن القرية تضي على الصك الصفة القانونية الرسمية وتثبت عظم قيمة الممتلكات.

بعض الشهود ينتمي الى قرى مجاورة. فهل يدل ذلك على رباط قرابة، أو عامل نفوذ، أو حق في

الانتفاع؟

يستعمل الخوري صيغة التصديق بالسريانية، بينما كتب السند بالعربية، مما يبرهن أن اللغتين استعملتا في الأمور الرسمية، دون تمييز أو مركب نقص عند سكان المنطقة، خصوصا الموارد. أما التاريخ فوضع طبقا للحساب اليوناني، بالضبط سنة الف وخمس مائة وثلاثة وستين سنة من سنون (سني) الاسكندر وهو يتناسب مع سنة ١٢٥١-١٢٥٢م في التقويم الغريغوري. دونت الوثيقة إذن قبل هجوم السلطان بيبرس على طرابلس وجبل الموارنة، ويكون المالك، او المنتفع، قد احتفظ بها مدة اثنين وثلاثين سنة.

تشكل هذه الوثائق الثلاثة التي حلينا رموزها وحللناها نماذج أصلية مما كان ينتجه الديوان المملوكي و«السكريبتيوريوم» المحلي خلال القرن الثالث عشر. وهي تلقي ضوءا على تاريخ جبل لبنان في تلك الحقبة المهمة.

(٤) كتابة على ورق (مخطوط ١A-٨٨. Had.)

الترجمة عن النص السرياني.

١- باسم الله الحي الى الأبد

٢- وعلى اسماء حننيا وعازريا

٣- وميشائيل ودانيال الذي (كان) في الجب

٤- بهذه الاسماء المقدسة تربط

٥- ونطرد نار (حمى) ورجفة داود

٦- بن ياسمين من (رأسه؟) ومن

٧- اعضاءه وملاك الرب

٨- الذي قطع (أطفا) لهيب

٩- النار يقطع (يطفىء)

- ١٠- نار (حمى) داود
- ١١- بن ياسمين بصلوات مار
- ١٢- قرياقوس ومار قبريانوس
- ١٣- ومار اسيا ومرت
- ١٤- مريم

هذا الكتاب - الحجاب وجد في مغارة عاصي الحدث، داخل قماشة كم قرب احدى الموميآت. وهو ينم عن ذهنية يختلط فيها الايمان مع العادات والتقاليد التي تعود الى الماضي البعيد. يهدف الحجاب المذكور الى أن يقي داود بن ياسمين من برائن الحمى.

أية حدث؟^١

فادي بارودي

manuscripts.

تطرقنا في مقالة عاصي الحدث الى بلدة الحدث (في جبة بشري)، وتبين أن عدة أماكن تحمل هذا الاسم، فاقترضى التعريف عنها. فعلا، ورد ذكر لبلدات تحمل اسم حدث (أو حدث) في المخطوطات والتواريخ العائدة للكنيسة الميفيزيتية (اليقوبية فيما بعد). جاء الاسم بالسريانية «حدثا» (وتلفظ حدثو)^٢. وهذا هو التسلسل التاريخي لذكر هذه البلدات:

- حدث جبل لبنان (٥٠٩م).
- حدث (قرب ملاطية في تركيا - من القرن ٨م حتى القرن ١١م).
- الحدث في وادي الذخائر (لبنان - ١٥١١م).
- الحدث (سوريا - ١٥١٩م).
- الحدث (؟) (١٥٢٠م).
- الحدث بقرب حوارين وأمهين (سوريا - ١٦٧٠م).

١- الحدث (لبنان)

(أ)- ذكرت في مخطوط B.M. ١٤٥٤٢ والذي يتضمن مقالة عن الروح القدس لباسيلوس

القيصري.

١ - حدث أو حدث، وسوف نذكر التسمية طبقا لما جاء في ذيل المخطوطات وفي الفهارس وفي الخرائط وفي اللفظ الحالي للتسمية.

٢ - أي « جديد، بادغام الدال بالتاء. غير أنه عندما عرب فك الإدغام فصار حدثا ثم حدث وأدخل عليه ال التعريف»: فريحة أسماء، ص ١٠٥.

الذيل (سريانيا - ت.ب.): «في سنة ٨٢٠ من شهر نيسان في الخامس عشر منه حسب تعداد اليونان (٥٠٩م)، وباليوم الثالث من الأسبوع في الساعة التاسعة إنتهى هذا الكتاب لمار باسيلوس في دير فعنور المقدس في أيام الفاضل ومحب الله مار توما رئيس الدير وبسلطان مار شمعون الشماس مدبر دير المسيح ربنا الذي من أجل اسمه يعملون وعلى رجاء مجازاته يسكنون في مسكنه فليعطهم أجر مجزاتهم مع القديسين صانعي مشيئته أمين...»

المجد للآب الذي أبوته لا تدرك الشكر للأبن الذي بنوته لا تستقصى مبارك الروح القدس... أقانيم ثلاثة بارادة واحدة تقديسات مثلثة...

أنا يعقوب الأمدي كتبت هذا الكتاب وكل من يقرأ (به) ليصلي لأجلي ليتحنن الرب على ضعف أفكاري وعلى نقصان أعمالي وصلاتي على كل من كتب أمين. لنذكر كل الأخوة الذين هم بالأمان وفي الفقر (النساك) ولتكن صلاتهم على الضعيف والمحتاج يعقوب الأمدي الذي لولا من مراحم المسيح لم يكن أهلا بأن يخط إسمي أنا الخاطي في هذه الكلمات الحية التي كتبها القدوس. ليكن ذكر لسيدي الملك والمسيح محيينا... ليكن ذكر للاثونطي الذي (هو) من حدث في جبل لبنان الذي بين يديه حصل هذا العمل ودعت الحاجة وكتبت هذا الكتاب. ليكن ذكر لمار حلفاي الفقير الموجود في جبل لبنان ولتكن صلاته سورا في يوم الدين لمن كتب أمين نعم أمين».

شرح بعض المعاني والاسماء:

«... في الساعة التاسعة...»: أي الساعة الثالثة من النهار حسب تقسيم الفرض الليتورجي.
«... دير فعنور...»: مازال مجهول الموقع^٣؛ هذا الدير ذكر أيضا في B. M. ١٤٦٠٢ في اللائحة ٣ والتي كتبت سنة ٥٧١م، «... إيليا رئيس دير فعنور المقدس...»^٤.
«... ليكن ذكر لسيدي الملك...»: هو الامبراطور البيزنطي أنسطاس الأول (٤٩١-٥١٨م)؛ في عهده نصب سويريوس بطريركا أنطاكيا^٥. لهذا الامبراطور تذكارة عند اليعاقبة^٦.
«... حدث في جبل لبنان...»: خلال قرون عديدة، كانت تسمية لبنان أو جبل لبنان التي ذكرت في عشرات المخطوطات السريانية والعربية (مارونية، يعقوبية، ملكية وإسلامية)، تعني بالتحديد البقعة

٣ - لم يستطع Tchalenko تحديد موقعه: ٧٧ ٧٦، p. Tchalenko villages.

٤ - عن هذا المخطوط (B.M. ١٤٦٠٢) راجع مقالة يعاقبة وأحباش حاشية ١٠٩.

٥ - يذكر

، والمقصود أنه كان لأتباع الطبيعة الواحدة،

الأفضلية في البلاط الامبراطوري في عهد أنسطاس الأول.

- وبالفعل بعد وفاة أنسطاس بدأ الامبراطور الجديد بمعادة أتباع مذهب الطبيعة الواحدة (بعد الاتحاد) مما اضطرت البطريرك سويريوس الى مغادرة إنطاكية سنة ٥١٨م.

٦ - في ٨ تموز: ١٣٦، p. Nau martyrologes.

الجبالية الممتدة بين جبة بشري وجبة المنيطرة فقط لا غير. بقيت هذه التسمية تشير إلى هذه البقعة أقله حتى القرن ١٨م^٧.

والظاهر أن الناسخ يعقوب الأمدي (آمد هي مدينة ديار بكر حاليا في تركيا) كان يعرف بوجود أكثر من بلدة تحمل إسم حدث، لذلك حدد موقعها^٨.

اذن «حدث» المذكورة في مخطوطنا هي حدث الجبة أو حدث الجبة^٩.

حدث او حدث هذه ذكرت في مخطوط آخر.

(ب)- مخطوط سوني شرفة ١٠٩ يذكر هكذا (ص ٤٢٣): «الحدث (وادي الذخائر - لبنان)». الذيل (سريانيا): «انتهى هذا كتاب الصوم المقدس... في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٨٢٣ يونانية (١٥١١م) في قاسطرة (بلدة كبيرة) حاردين المباركة في جبل لبنان في عهد البطريرك الأنطاكي أثناسيوس و بطريرك الإسكندرية في مصر مار أيوانيس بيد... القس جبرائيل من حاردين...». إشارة (كرشونيا) :

«نجز هذا الكتاب المبارك وهو برسم قرية الحدث التي في وادي الذخائر...».

شرح:

«... البطريرك الأنطاكي أثناسيوس...»: لم نهتد إلى إسم أثناسيوس خلال سنة ١٥١١م لأن البطريرك الإنطاكي كان أغناطيوس يعقوب الأول (١٥١٠-١٥١٩م) بالنسبة الى ارملة^{١٠}، واغناطيوس يشوع الاول القلثي (١٥٠٩-١٥١٢م) بالنسبة الى ساكا^{١١}.

فهل هي زلة قلم من الناسخ الذي كتب أثناسيوس بدلا من اغناطيوس؟ لكن أي أغناطيوس؟ «... أيوانيس...»: هو يوحنا الثالث عشر (١٤٨٤-١٥٢٤م) بطريرك الكنيسة القبطية. «... وادي الذخائر...»: هو وادي قاديشا، وتسمية قاديشا أتت من تواجد النساك والمتعبدين فيه (والذين اعتبروا بالطبع قديسين)؛ هؤلاء تركوا بعد وفاتهم أثرا هو بمثابة ذخيرة للمؤمنين (عظام، ثياب)، لهذا السبب سماه الناسخ وادي الذخائر (وادي قاديشا). ربما ان الناسخ هو الذي ابتكر هذه التسمية (وادي الذخائر) أو أنها كانت شائعة في محيطه.

٧ - راجع حاشية ٢ من مقالة يعاقبة وأحباش.

٨ - لو كانت حدث بعلبك مثلا لكان من المقترض أن يذكر الناسخ في هذه المرحلة، حدث سوريا المجوفة Coelesyria؛ راجع صليبي منطلق، ص ٢٩.

٩ - في خرائط مديريةية الشؤون الجغرافية في الجيش اللبناني (١/٢٠٠٠٠) كتبت حدث بالتاء وبالفرنسية Hadet؛ بعض الخرائط المتداولة تكتبها بالتاء، والبعض الآخر بالتاء.

١٠ - ارملة بطريركية، ص ٥٩٧.

١١ - ساكا كنيستي، ص ١٦٦.

«... قرية الحدث التي في وادي الذخائر...» لا تعني بالضرورة أن القرية في قلب الوادي؛ مثالا على ذلك: مخطوط ماروني Vat.Syr LII، «... كمل الكتاب بيد جبرائيل ابن إسطفان بن ستيتة من قرية إهدن بوادي قيزحيا... سنة ١٨٤٨ يونانية (١٥٣٨م)»؛ وقرية إهدن ليست في وادي قزحيا بل على حافة هذا الوادي، كذلك الحدث فهي على حافة وادي قاديشا أو وادي الذخائر.

الغير مألوف في مخطوط سوني شرفة ١٠٩، أن الناسخ لا يذكر اسم الكنيسة؛ فإما انه يجهل اسم الكنيسة التي ينسخ لها المخطوط وهذا الأمر بعيد الإحتمال وغير منطقي، وإما انه لم ير لزوماً لذكر اسمها ربما لأنه لا يوجد إلا كنيسة واحدة لليعاقبة في الحدث، وهذا أغلب الظن.

٢- الحدث (تركيا)

تكتب في خريطة تركية^{١٢} El Hadat؛ وهي منطقة أثرية بالقرب من قرية (ساراي كوي).

تقع El Hadat (الحدث) بين مدينتي (ملاطية) Malatya و(مرعش) Kahraman Maras، وبالتحديد على مسافة ٨٠ كلم تقريبا من Malatya. تشير الى أن آثار الحدث تبعد عن موقع دير مار برصوما الشهير (حاليا آثار Peras) نحواً من ١٢٠ كلم إلى الجنوب الغربي منه (خط مستقيم)^{١٣}.

الحدث هذه كانت كرسي أسقفياً^{١٤} وقد ورد ذكرها مرات عدة في تاريخ البطريرك ميخائيل السرياني الكبير (معرب تاريخ ميخائيل يكتبها بالثناء)^{١٥}.

«البطريرك قرياقوس... رسم في ١١١٠ (٧٩٩م) وضع عليه اليد ثاودوسيوس أسقف بعلبك. رسم الأساقفة التالية أسماؤهم... إيليا أسقف مدينة حدث رسم بدير العمود في الرقة... البطريرك ديونيسيوس... التلمحي... ٨١٨م... رسم جاورجي أسقف حدث... البطريرك يوحنا... ٨٤٦م... رسم أغناطيوس أسقف حدث... البطريرك أغناطيوس... ٨٧٨م... رسم إيليا أسقف حدث... البطريرك ديونيسيوس... ٨٩٨م... رسم قوزما أسقف حدث... رسم جرجيس أسقف حدث...»

١٢ - Karayollari Haritasi, ١/١ ٠٠٠ ٠٠٠.

١٣ - راجع في الخريطة المرجع السابق.

- يطلق على Peras أيضا Kala der Bar Sum؛ راجع

- عن دير مار برصوما المرجع نفسه وحاشية ٩٣ من مقالة يعاقبة وأحباش.

١٤ - Fiey Oriens, pp. ٢٠٣-٢٠٤.

١٥ - تاريخ ميخائيل، ص ٤١٠-٤٥١.

البطريك باسيلئوس... ٩٢٣م... رسم سمعان مطران حدث... رسم غريغوريوس أسقف

حدث...

البطريك يوحنا... ٩٣٦م... رسم إبراهيم أسقف حدث...

البطريك يوحنا... «ذو الحصيرة»... ٩٦٥م... رسم ديونيسيوس أسقف حدث...

البطريك يوحنا بن عبدون... ١٠٠٤م... رسم أيوانيس أسقف حدث ورعين...

البطريك ديونيسيوس يحيي... ١٠٣٢م... رسم باسيلئوس أسقف حدث...

البطريك يوحنا... ١٠٤٢م... رسم أيوانيس أسقف حدث... رسم طيمثاوس أسقف حدث...».

بعد ١٠٤٢م لم تعد تذكر الحدث هذه في التواريخ والمخطوطات اليعقوبية.

٣- الحدث (سوريا)

حدث أو حدث القريبة من بلدة صدد.

من صدد إلى بلدة أمهين (حاليا مهين)^{١٦} إلى قرية الحدث زهاء ١٧ كلم (حدث مهين ٥ كلم).

الحدث تضم نحو من ١٥ منزلا.

(أ)- ذكرت الحدث هذه في مخطوط ٢٨٨١ Cambridge.

الذيل (كرشونيا): «لما كان بتاريخ سنة (١٨٣٠) يونانية (١٥١٩م) في شهر آب المبارك كان

الأب المطران يوسف الكرجي مري غريغوريوس مطرانا على القدس والشام وعين حليا وعين حور

ونصف صدد وقرية الحدث وكان الأب المطران عيسى ابن حوريه مري ديوسقورس مطرانا على النبك

والصالحيه ومري موسى ونصف صدد...».

شرح:

«... المطران غريغوريوس يوسف الكرجي...»: تولى كرسي طرابلس وحريدين أيضا سنة

١٥٣٠م^{١٧} (راجع عن هذا الاسقف في مقالة يعاقبة وأحباش قسم دير الزعفران).

«عين حليا»: أشير إليها سابقا^{١٨}.

«عين حور»: تقع إلى الشمال من بلودان على مسافة ٣,٥ كلم تقريبا في خط مستقيم.

١٦ - يسميها «: راجع C٣, VI, Dussaud topographie.

١٧ - طرازي أصدق، ص ١١٨-١١٩ و ١٢٦-١٢٧، نقلا عن مخطوطات دير الزعفران؛ لم يتسن لنا مراجعة فهرس

مخطوطات دير الزعفران الذي صدر حديثا، لضيق الوقت ولصعوبة العمل فيه، ذلك ان الاسقف دولباني نقل بخط

يده ذيل المخطوطات العائدة لهذا الدير، وهذه الكتابات صورت وطبعت كما هي.

١٨ - راجع حاشية ١٠٠ من مقالة يعاقبة وأحباش.

«صدد»^{١٩}: تقع إلى الشمال الشرقي من النبك على مسافة ٤٠ كلم تقريبا؛ الملفت في هذا المخطوط (Cambridge ٢٨٨١) أن نصف صدد كان يتبع أسقفا والنصف الآخر (يتبع) أسقفا آخر. «قرية الحدث»: هي تلك التي ذكرناها^{٢٠}.

«... المطران ديوسفورس عيسى ابن حوريه...»: ورد ذكره في مخطوط سوني شرفة ٣٧٢، قبل أن يصبح أسقفا: «... كمل هذا الكتاب وهو برسم الأب المحترم القس عيسى ابن سعيد المعروف بابن حورية من قرية النبك... سنة ١٨٠١ يونانية (١٤٩٠م)». للمطران ديوسفورس عيسى شقيق هو القس عبد العزيز ورد ذكره مع الأسقف أثناسيوس يغمور (وهو اسقف حردين - سوني شرفة ١١٠).

«مري موسى»: وهو دير مار موسى الحبشي.

(ب) - ذكرت الحدث هذه ايضا في مخطوط في فهارس دولباني^{٢١}.

الذيل (عربيا): «باسم الله الرؤوف هذا ما اشتروا ووقفوه وابدوه وحبسوه وخذلوه جميع هذا الكتاب الصلوات السريانية وقفا يريدوا به الجزاء من الله يوم (يجزي) الله المؤمنين ولا يضيع اجر المحسنين وهما سائر اهل قرية الحدث الذين بقرب حوارين وامهين على الرهبان والقسان والشماميس المصلين بكنيسة العابد مار سمعان العامودي... وفي هذا الفنقيت طقوس مار سويريوس ومار برصوم واجر الملك (١٦٧٠م)».

«حوارين»: إلى الشرق من صدد على مسافة ٢٠ كلم تقريبا في خط مستقيم.

إذا كنيسة قرية الحدث كانت على اسم مار سمعان العامودي.

تجدد الاشارة الى وجود برج أثري قديم في وسط القرية؛ أما خارجها (القرية) وفي الجهة الشمالية الشرقية، هناك عدد من التلال الأثرية الصغيرة الحجم التي لا تتعدى بضعة أمتار مربعة حيث يشاهد في احداها آثار كنيسة مار سمعان، المتبقي منها قسم من شرقيتها (حنيتها) ومن جدارها الجنوبي.

١٩ - من المخطوطات السريانية التي لم تدرس بعد بعناية، تلك الموجودة في كنائس بلدة صدد؛ وقد حققنا قسما من هذا العمل بمباركة سيادة المطران برنابا، مطران حمص للسريان الارثوذكس، وبمعاونة الاب يوحنا سلامة وكهنة صدد المحترمين.

- وكان الاب J.M. Fiey يذكرنا على الدوام بأهمية مخطوطات صدد وهو على كل حال أورد هذا الشيء في Fiey Oriens, p. ٢٦٢.

٢٠ - حصل التباس لدى بعض المؤرخين الذين لم يتمكنوا من تحديد صحيح للحدث (أو حدث) هذه المذكورة في مخطوط Cambridge ٢٨٨١، فمنهم من اعتبرها حدث الجبة في لبنان (طرازي)، ومنهم حدث تركيا (Fiey).

٢١ - ص ٣٠٥-٣٠٦.

بالقرب من هذه الآثار يوجد كهفان حفر في داخلهما عدد من المدافن (استكشف الكهفين: بطرس أبي عون، فادي بارودي، الاب عبدو بدوي - راجع الرسم التخطيطي).

الكهف الأول: وهو عبارة عن تجويف طبيعي مدخله على شكل بئر، والقسم الأكبر منه مردوم حالياً؛ في داخل الكهف يشاهد عدد من المدافن حفرت في جوانبه.

الكهف الثاني: محفور كلياً في الصخر، والولوج إليه يتم عبر بئر عمقها حوالي ٣ أمتار. يتألف الكهف من ثلاث غرف تحتوي كل منها على حجرتين؛ داخل كل حجرة حفر عدد من المدافن المتلاصقة والتي كانت مغطاة ببلاط (شاهد قبر). الجدير بالذكر أن جميع هذه الحجرات حفرت بشكل مربع وسقفها (على شكل) قبو اسطواني؛ يفصل بين كل حجرة ممر محفور على شكل باب يعلوه عقد مكسور. في آخر الكهف يوجد حجرة منفردة مشابهة للبقية.

٤- الحدث (؟)

ذكرت في مخطوط كنيسة مار ثاودورس في صدد «صلوات اسبوع الآلام». الذيل (سريانيا - ت.ب.): « لمجد وإكرام الثالوث الأقدس المتساوي بالجواهر بأقانيمه الثالثة المقدسة أب وابن وروح قدس اله واحد حقيقي. إكتمل كتاب الآلام الخلاصية هذا المقدس بيدي الانسان الضعيف والخاطئ والذي لا يستحق ان يكتب اسمه في هذا الكتاب الا لأجل صلاة المصادفين اسمه فيلوكسينوس واطلبوا من كل أخ يصادف أن يقدم الصلاة عن إثمي وكل من يصلي علينا ليغفر له السوب أمين بصلوات والدة الاله وكل القديسين أمين. كان هذا في سنة ١٨٣١ يونانية (١٥٢٠م) اليوم الثالث من شهر ايار يوم عيد والدة الاله مريم صلاتها تعضدنا ولرب المجد الدائم أمين».

إشارة (كرشونيا):

«هذا الكتاب المبارك برسم القديس مار شمعون بوادي أمهين بقرية الحدث وكان المهتم بنقله القسيس والجماعة المباركين بارك الرب عليهم أمين. وهو وفقاً مخلدا مؤبدا على كنيسة القديس المذكور والقرية المذكورة. أي من غيره من الموضوع يكون محروم ملعون من حقارتنا ومن الآباء ٢٣١٨ وأي من جسر وجاز على هذه الحرم يكون حظه مع يهوذا الاسخريوطي ومع الذين صلبوا رب المجد أمين.

وذلك كتب بقرية حردين المحروسة وكان ناقله العبد الحقير باسم مطران ابراهيم من القرية المذكورة يعرف بابن حديبان رحم الله أموات الكاتب الحقير وأمواتهم يا أخوة أجمعين أمين. والمجد لله

٢٢ - نسبة إلى مجمع نيقيا عام ٣٢٥م والذي حضره ٣١٨ اسقفا.

رب العالمين أمين. وكما يفرح الملاح بوصول سفينته إلى الميناء هكذا يفرح الكاتب بوصوله إلى آخر كتابه».

ملاحظات:

ناسخ هذا المخطوط هو اسقف حردين في جبل لبنان فيلوكسينس ابراهيم ابن حديان^{٢٣}.
الناسخ لم يحدد الاطار الجغرافي لقرية الحدث كما ورد في المخطوطين السابقين؛ من المفترض ان تكون تلك القرية من بلدتي أمهين وصدد في سوريا خاصة وان المخطوط انتهى في صدد.
لكن خلو الذيل (المخطوط) من دلالة جغرافية واضحة يفرض طرح بعض التساؤلات:

لماذا كتب هذا المخطوط في حردين في جبل لبنان البعيدة جغرافيا عن منطقة أمهين الحدث في سوريا (١٢٠ كلم خط مستقيم)، وبالقرب من قرية الحدث هناك العشرات من النساخ في صدد والحفر وفيروسة وحمص والنبك ودير مار موسى الحبشي؟
لماذا يسمي الناسخ «وادي أمهين» والمنطقة مسطحة إلى حد ما ولا وجود فيها لواد بحسب العرف الجيولوجي للكلمة؟ فهل يطلق اسم «واد» على منخفض بسيط؟

وتكمن المفاجأة في العثور على اسم أمهين في منطقة وادي قاديشا في جبل لبنان.
فبالقرب من حدث الجبة، إلى الشمال الغربي منها، على مسافة ٦ كلم بالضبط في خط مستقيم، يقع دير مار جريس أمهين^{٢٤}؛ والمعنى دير مار جريس الذي في منطقة أمهين.
المكان يحتوي على بقايا آثار تعود إلى قرية مندثرة الآن. هذه المنطقة الأثرية تعرف عند العامة بـ«قرحين» ، وقد ورد اسم قرحين في مخطوط Paris Syr. ٧١؛ أما خريطة مديرية الشؤون الجغرافية في الجيش اللبناني Ehden P-٧ فلم تذكر بل ، والظاهر ان المكان يحمل الإسمين معا. أغلب الظن ان القرية كانت قرحين والدير مار جريس أمهين.

كما يوجد «مار سمعان العامودي» (أو مار شمعون في السريانية) في حدث الجبة؛ فالجبل المحاذي للبلدة إلى الشرق منها يسمى جبل مار سمعان وهو يضم مزارا على اسم هذا القديس.

المخطوط يذكر «... مار شمعون بوادي أمهين بقرية الحدث...» مما قد يعني كنيسة مار شمعون الموجودة في وادي أمهين التابعة لقرية الحدث.

فهل يوجد في منطقة قرحين - أمهين بقايا آثار لكنيسة كانت على اسم مار سمعان؟
هل المنخفض القائم فيه مار جريس أمهين كان يطلق عليه اسم واد؟^{٢٥}

٢٣ - فيلوكسينس إبراهيم ابن حديان، راجع عنه في قسم حردين مقطع دير مار فوقاً وحاشية ١٥٣ من مقالة يعاقبة وأحباش.

٢٤ - خريطة: Ehden P-٧ ١/٢٠٠٠٠ - سطحي: ١٦٥٦٥٠ طول: ٢٦١٧٠٠ ارتفاع: ٧٤٠م.

هل كانت هذه المنطقة تتبع الحدث؟ والمعروف ان دير مار أبون مثلا البعيد نسبيا عن الحدث والتابع حاليا لقرية الفراديس، كان يتبع الحدث^{٢٦}.

يبقى السؤال: لأية حدث كتب مخطوط صدق؟

مقارنة بين حدث سوريا وحدث الجبة في لبنان

حدث (سوريا)	حدث (الجبة - لبنان)
تواجد لليعاقبة في القرن ١٥ م	؟
تواجد لليعاقبة في القرن ١٦ م	نعم ^{٢٧}
المسافة عن حردين (خط مستقيم)	١٢٠ كلم
المسافة عن أمهين	٧ كلم
التسمية حاليا	عن مار جريس أمهين: ٦ كلم
وجود واد عميق	مهمين
وجود منخفض بسيط	بقيت التسمية أمهين
كنيسة مار سمعان قديما	نعم
كنيسة مار سمعان حاليا	نوعا ما
	نعم
	؟
	نعم (مزار)

٢٥ - بالفعل الطريق المتجه من قرية سرعل إلى قرية كرم سدة ينحدر نزولا إلى منطقة أمهين قرحين؛ راجع خريطة Ehdn P-٧.

٢٦ - Touma village, p. ١٣٤؛ راجع أيضا دويهي تاريخ، ص ١١٥.

٢٧ - Hector Qalai, pp. ١٥٥, ١٧٠؛ راجع أيضا حاشية ٨٢ من مقالة يعاقبة وأحباش.